بسم الله الرحمن الرحيم

الاثنين 9/9/2013 الشيخ الطبيب محمد خير الشعَّال

سلسلة التفسير

سورة الكهف (21)

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً وعملاً متقبلاً يا أكرم الأكرمين. أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً، وارزقنا اجتنابه. نسألك علم الخائفين منك، وخوف العالمين بك.. وبعد:

فنحن في تفسير آية من سورة الكهف.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنْذِرُوا هُزُوًا * وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا * وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلًا * وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا﴾ [الكهف: 56 - 59].

أشرف عمل هو عمل المرسلين؛ فهم خيرة البشر اصطفاهم الله تعالى هداة لعباده وجعلهم عاملين لديه وكلفهم بعمل الدلالة عليه.

﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾.

كل من أراد أن يلحق بركب أنبياء الله تعالى، وركب الرسل ويعمل أشرف عمل على وجه الأرض فعليه أن يعمل عملهم بالدعوة إلى الله تعالى فيكون سبباً في هداية الخلق وآمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر بالبشارة والنذارة.

لا أعلم متوالية حسابية تحول الواحد إلى مليار ونصف إلا متوالية الدعوة إلى الله عز وجل فرسول الله صلى الله عليه وسلم كان واحداً عندما أوحى الله إليه هذا الدين ثم وصل عدد المسلمين في العالم إلى ما يقارب مليار ونصف.

هل لك أن تتخيل الأجور التي تنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ لذلك قال العلماء: ما زال رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقى قرباً إلى الله تعالى منذ بعثه الله تعالى وإلى يوم القيامة.

كلنا ندعو فنقول جزى الله عنا سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم ما هو أهله فكلنا عبارة عن حسنة من حسنات رسول الله صلى الله عليه وسلم.

لو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن آذاه قومه وأضروا به وشتموه وعذبوه وفعلوا به ما فعلوا وتكلموا في حقه ما تكلموا؛ انكفأ على نفسه واعتكف في مسجده وترك هداية قومه وقال: إني ذاهب إلى ربي سيهدين لكنا في هذه البلدة عباد نار، لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم في أسعد أيام حياته وأصعبها، في انتصاره وانهزامه، في صحته ومرضه، عند راحته وتعبه، وفي حِلّه وترحاله كان يشتغل في الدعوة إلى الله فكانت مكافأة الله له بهداية هؤلاء العباد على يديه ولا زالت صحيفته صلى الله عليه وسلم تمتلئ بالحسنات والخيرات ثواباً لما فعل من الدعوة إلى الله عز وجل.

كل واحد منا يعمل بالدعوة إلى الله وهداية الخلق إلى الله فقد فتح الله له باباً من القرب إليه لا يعلمه إلا الله عز وجل، وحسبك أنك تعمل عمل الأنبياء.

ليس على الداعي أن يعتكف في المسجد ويصير خطيباً، أو مدرساً وراء مقاعد الدرس في المساجد أو الجامعات أو في المدارس الإسلامية، بل يمكن أن الداعي في عمله وفي كل مكان هو فيه.

أحياناً يركب أحدنا في حافلة نقل فيتكلم مع من حوله فيلقي الله الهداية في قلب رجل.

أحياناً يتحدث الداعي مع الزبون، أو يعلِّمُ ابنه أو ابن جاره... فيكتب الله لهم الهداية.

كلمة الخير لا تعلم أين تقع وماذا ستثمر فعليك أن تلقي البذور وعلى الله التوفيق والهداية، كالفلاح فهو لا يعلم أي بذور ستخرج لتكون شجرة يؤكل منها لعشرات السنوات.

التاجر لا يعلم أي صفقة من الصفقات سيفتح الله عليه بها فتكون بها سعادته وسعادة أولاده من الناحية المالية.

البائع لا يعلم أي زبون وفي أي يوم سيأتي ليفتح معه خط إنتاج في بلد آخر فيغنيه الله لمئة سنة إلى الأمام.

يُطلب من الداعي إلى الله أن لا يتوقف عن الكلام بالخير والدلالة عليه والنطق بالحق؛ فلا تعلم أي بذرة ستقع في قلب أي إنسان فيصلحه الله بها.

كان شيخنا يقيم درساً بعد صلاة التراويح فكان الناس يتسابقون إلى الصف الأول فأتى يوماً طفل باكراً ليجلس في الصف الأول فلما دخل الشيخ تزاحم الناس وتحلقوا حوله ومن جملتهم هذا الطفل فجاء أحد الناس الموكلون بتنظيم الصفوف وأراد أن يبعد هذا الطفل فقال الشيخ له: اتركه.. لأنه جاء باكراً وما يدريك لعله يكون صلاح الدين.

ربما تتكلم مع طفل ورجل تظنه بعيداً عن الله ولا تعلم متى هذه الكلمة ستؤثر فيه.

قد تلقي كلمة لا تؤثر الآن لكن لعله يجلس بعد سنوات؛ ليتفكر فيذكر كلمتك فيغير طريق الضلال، ليكون باتجاه الحق.

لا بد لك أن تتعلم مفاتيح الناس والناس بشكل عام يحتاجون إلى مزج بين البشارة والنذارة، والترغيب والترهيب حتى لا تطمع نفسه طمعاً كبيراً ولا تقنط قنوطاً شديداً، فإن وجدت إنساناً في خوف وإحجام فعليك بالبشارة وإن وجدت إنساناً بتفريط كثير وغرق بالموبقات فعليك بالنذارة.

﴿ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ ﴾ .

إذا كان الذين كفروا يجادلون بالبطل أفلا ينبغي على الذين آمنوا أن يجادلوا بالحق؟!

فعل **يجادل**: فعل مضارع فهو يحمل معنى التجدد فتراهم يجادلون باستمرار ويتكلمون ويتحدثون ويزرعون بين الناس الباطل ليدحضوا به الحق، ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [الإسراء: 81].

قال المفسرون: ما أن يأتي الحق حتى يذهب الباطل.

فنحن بحاجة أن يأتي الحق، أما إن قال ناشر الحق: تعبنا، ولست فارغاً، وليس لي مزاج، والآن ليس وقت ذلك... فهناك مشكلة وأعداء الحق لا يريدون إلا ذلك بأن يصيبكم اليأس والقنوط.

﴿ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنْذِرُوا هُزُوًا ﴾ .

عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ اليَمَانِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ المُنْكَرِ أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْهُ ثُمَّ تَدْعُونَهُ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ**» [الترمذي].

تجد في الوقت الحالي رجلاً يرتكب ولده الفاحشة وهو يضحك.

ترى شريكاً يطلب شريكه منه سرقة أحد الزبائن واعتداء على ماله فيسكت.

ترى أخوين يتعاونان على سرقة حصة أختهم من الإرث.

ترى بنتاً مسلمة تخرج مع أمها وكأنها في ليلة زفافها.

ترى حماة تدعو ابنّها لطلاقِ زوجته؛ لأنها لم تعجبها.

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا ﴾ .

الأزمة آية من آيات الله عز وجل؛ لأن بعض الناس كانوا معتدِّين بعلمهم أو مالهم أو قوتهم أو جماعتهم أو خدمتهم فأعلمتهم الأزمة كم هو ضعاف.

﴿ وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ﴾ .

إذا أرسل الله للإنسان مبشرات ومنذرات وآيات ومرغبات ومخوفات ولم يفهم فهذا يعني أن على قلبه أكنة أن يفقهوه.

هذه القلوب موضوعة في كنانة، **والكنانة**: هي الجيب العميق.

إذا كان هناك صخرة في جبل بارزة وتحتها صخرة خلفها فبينهما يكون مثل أكنان أو تجويف يستظل به صاعد الجبل وهو ما يسمى كِن.

الجعبة: هي التي تحمل السهام وتسمى كِن.

فكأن قلوبهم في أجواف صخر فلا يفقهون شيئاً، فتراهم يسمعون القرآن والدروس بأُذُن الطين أما أُذُن القلب فلا تسمع ولا تفهم على الله عز وجل.

قال القشيري في تفسيره: لا أحد أظلم ممن ذكر ووعظ بما لوح له من الآيات، وبما شاهده وعرفه من أمر أصلح أو شغل كفي أو دعاء أجيب له، أو سوء أدب حصل منه، فأدب بما يكون تنبيهاً له، أو حصلت منه طاعة وكوفئ في العاجل إما بمعنى وجده في قلبه من بسط أو حلاوة أو أنس، وإما بكفاية شغل أو إصلاح أمر... ثم إذا استقبله أمر نسي ما عومل به، أو أعرض عن

تذكره، ونسي ما قدمت يداه من خيره وشره، فوجد في الوقت موجبه... ومن كانت هذه صفته جعل على قلبه ستراً وغفلة وقسوة حتى تنقطع عنه بركات ما وهبه.

أمر مصلح: قد تكون في ضائقة وكرب شديد ولا حَلَّ له إلا الله فتدعو الله وتلتجئ إليه فيصلح الله لك الأمر، لكن إياك إذا أصلح الله لك أن تعود إلى ما كنت عليه.

شغل كفي: قد يأتيك هَمٌّ يشغلك أشهراً، ثم يزيله الله عنك هذا الهم.

هل تصدق أن أسرة مسلمة لا ترضى أن يقام زفاف ابنتها إلا مختلطاً ويوزع في داخله الخمور!!

هل تصدق أن الزوج إذا تزوج أخذ زوجته في شهر العسل إلى دولة أوربية فتطلب منه الذهاب إلى حفلة فاحشة فيقبل!! والعجيب أن تخبر أهلها بما فعلاه، فتسر الأم بذلك وتتكلم بما فعلت ابنتها!!

﴿ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا ﴾ .

لو انكشف عنا الغطاء فلن ينظر أحد إلى وجه أحد لكن من رحمة الله بنا أنه سترنا وأرسل إلينا آيات لطيفة لأجل أن نرجع إليه وأن لا نعرض عن هذه الآيات، أما من أعرض عنها فهو الظالم.

﴿ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلًا ﴾ .

إذا مشوا بطريق الخير فلهم موعد لن يبتعدوا عنه في ثواب الخير، وإن مشوا في طريق الشر فلهم موعد لن يبتعدوا عنه في ثواب الشر.

﴿ وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا ﴾ .

هذا الأمر ليس جديداً فهناك قرى ومدن وأسر وأفراد كثر أهلكهم الله لما ظلموا.

قال أهل التفسير: قضى الله العقوبة حين عصي ثم أخرها حتى جاء أجلها ثم أرسلها.

في لحظة المعصية والفجور والظلم والقتل والاعتداء قضى الله أمره، لكنه لا يرسله مباشرة ولكن يؤخره.

والقضاء: هو علم الله تعالى بما سيكون.

أما القدر: فهو وقوع هذا العلم وفق القضاء.

فإذا رأيتم الآن فساداً أو مفسدين أو فجوراً أو فاجرين فلا تظنوا أن الأمر سيمضي فإن الله قد قضى العقوبة لكن لها وقت.

وصلَّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

والحمد لله رب العالمين.